مقاصد الخلق الخمسة وجوهر التربية الأصيل: دراسة في ضوء القرآن الكريم

محمد أبوبكر المصلح

أستاذ مساعد في الدراسات الإسلامية، العميد المساعد للشؤون الأكاديمية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، قطر

malmusleh@qu.edu.qa

تاريخ استلام البحث: ١٢/ ٤/ ٢٠٢٠م تاريخ تحكيمه: ١/ ٥/ ٢٠٢٠م تاريخ قبوله للنشر: ١٧/ ٨/ ٢٠٢٠م

ملخص البحث

أهداف البحث: يهدف البحث بالأساس إلى دراسة مقاصد الخَلق الخمسة: العبادة، والاستخلاف في الأرض، وعمارتها، والابتلاء، والاختلاف بين الناس، وتحليل العلاقات فيما بينها، وعلاقاتها بجوهر التربية الأصيل، ألا وهو الترقي السامي في معارج الكمال، بناءً على تحليل الباحث لمفهوم التربية الأصيل في دراسة دلالية تأصيلية سابقة، فهذا البحث متمم لتلك الدراسة ويستجيب لتوصيتها.

منهج الدراسة: أُنجز البحث باتباع منهجية تحليلية تأصيلية في ضوء القرآن الحكيم، وذلك باستقراء الآيات التي كشفت عن مقاصد الخلق بصِيَغِ تعليلٍ ظاهرةٍ، ودراستها دراسةً دلاليةً مقارنة في ضوء سياقاتها، وتحليل العلاقة بين دلالة كل مَقصد ودلالة جوهر التربية الأصيل، ثم استخلاص أهم النتائج وآفاقها.

النتائج: أهم ما كشف عنه البحث هو أنه بمقدار تمثل الإنسان لمقتضيات مقاصد خلقه الخمسة –التي تشير إليها دلالاتها حسب تحليلها في ضوء القرآن – فإنه يحقق إنسانيته ويرتقي في معارج الكمال البشري ارتقاءً شاملًا وساميًا، يقربه إلى ربه ذي المثل الأعلى للكمال، وذلك الارتقاء هو جوهر التربية الأصيل.

أصالة البحث: تكمن أصالة البحث في كونه يكشف عن دلالات مقاصد الخلق الخمسة، والعلاقات فيما بينها جميعًا، وعلاقاتها بجوهر التربية الأصيل، وارتباطها بفكرة التقرب إلى الله ذي الكمال المطلق، كشفًا تأصيليًا جديدًا يعمق تصورنا عن مفهوم التربية وجوهرها الأصيل، الذي من شأنه تحقيق ارتقاء إنساني تجديدي شامل نحو الكمال.

الكلمات المفتاحية: جوهر التربية الأصيل، مقصد العبادة، مقصد الاستخلاف في الأرض، مقصد عمارة الأرض، مقصد الابتلاء، مقصد الاختلاف بين الناس.

للاقتباس: محمد أبو بكر المصلح، «مقاصد الخلق الخمسة وجوهر التربية الأصيل – دراسة في ضوء القرآن الكريم»، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد ٣٨، العدد ٢، ٢٠٢١.

https://doi.org/10.29117/jcsis.2021.0273

© ٢٠٢١، محمد أبو بكر المصلح، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). وتسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف. https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0

The Five Purposes of Creation and the Authentic Essence of Tarbiya (Education): A study in light of the Holy Qur'an

Mohamed Abubakr A Al-Musleh
Assistant Professor of Islamic Studies, Associate Dean for Academic Affairs,
College of Sharia & Islamic Studies, Qatar University, Qatar
malmusleh@qu.edu.qa

Received: 12/4/2020 Revised: 1/5/2020 Accepted: 17/8/2020

Abstract

Purpose: This research mainly studies the five purposes of creation: worship "*ʿibāda*", viceroyship "*khilāfa*" on earth, developing "*ʿimār*" on earth, testing "*ibtilā'*", and human differences "*ikhtilāf*". It also analyzes their interrelationships as well as their relationships with the authentic essence of *tarbiya* (education), i.e., the eminent progression along the stairway to perfection, based on the researcher's analysis of the authentic concept of *tarbiya* in a previous semantically authenticating study. Thus, this research is complementary to the previous study and was conducted in response to the latter's recommendations.

Methodology: The research follows a semantically analytical authenticating methodology in light of the Qur'an. It examines the Qur'anic verses that clearly convey the purposes of creation, studies them semantically, compares and contrasts them in light of their respective contexts, analyzes the relationship between each purpose and the connotations of the authentic essence of *tarbiya*, and then derives the key findings and their contributions.

Findings: The key findings of the research reveal that, in as much as human beings commit to the requirements of the five purposes of their creation – to which their connotations point to, according to their analysis in light of the Qur'an - they fulfill their humanity and ascend comprehensively and nobly towards human perfection, which places them closer to their Lord, whose perfection is the loftiest. This ascension embodies the authentic essence of *tarbiya*.

Originality: The originality of the research lies in the fact that it newly and authentically reveals the connotations of the five purposes of creation and their interrelationship, their relevance to the authentic essence of *tarbiya*, and the linkage between them and the notion of becoming closer to Allah, who has the ultimate perfection. This disclosure deepens our perception of the concept of *tarbiya* and its essence that can potentially fulfill a comprehensive and renewed human progression towards perfection.

Keywords: The authentic essence of *tarbiya* "education"; The purpose of worship "*ʿibāda*"; The purpose of viceroyship "*khilāfa*" on Earth; The purpose of developing "*ʿimār*" on Earth; The purpose of testing "*ibtilā'*"; and the purpose of human differences "*ikhtilāf*"

Cite this article as: Mohamed Abubakr A Al-Musleh, "The Five Purposes of Creation and the Authentic Essence of Tarbiya (Education): A study in light of the Holy Qur'an", *Journal of College of Sharia and Islamic Studies*, Volume 38, Issue 2, (2021).

https://doi.org/10.29117/jcsis.2021.0273

© 2021, Mohamed Abubakr A Al-Musleh. Published in *Journal of College of Sharia and Islamic Studies*. Published by QU Press. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, trans.form, and build upon the material, provided the original work is properly cited. The full terms of this licence may be seen at

https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/.

مقدمة

إن الترقي في معارج الكمال البشري هو جوهر التربية الأصيل[١]. ولا مطمع للإنسان في ذلك الترقي الكمالي دون تمثله لمقاصد خلقه؛ بناءً على أن «تحقق تمام الغاية من الشيء هو أحد أبعاد دلالات الكمال»[٢]. بل «إن إنسانية الإنسان لا تتحقق إلا بقدر ما يحقق الإنسان من مقاصد خلقه»[٣] من حيث إنَّ «كل ما أُوجد لفعل فمتى لم يُوجد منه ذلك الفعل كان في حكم المعدوم، ولذلك كثيرًا ما يُسلب عن الشيء اسمه إذا وُجد فعله ناقصًا، كقولهم للفرس الرديء: ليس هذا بفرس وللإنسان ليس هذا بإنسان»[٤].

هذه الحقيقة من شأنها أن ترسِّخ لدى الإنسان أن وجوده مُغيّى بغايات، هي التي تمنحه قيمته الحقيقية، بحيث يبلغ من الكمال بقدر ما يحقق من تلك الغايات[٥]. وبهذا نفهم سر تشنيع القرآن على من عطلوا إمكاناتهم -التي وهبها الله لهم - عن تحقيق ما خُلقوا من أجله، ونعتهم بأنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلًا ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤].

ومن هُنا تتأكد ضرورة أن تتضمن التربية العمل على تحقيق مقاصد الخلق ومقتضياتها العملية، وإلَّا كانت غير متمثلة لجوهرها الأصيل، وغير مُوصِلَة لغايتها الكُبرى وهي: بلوغ الكمال. الأمر الذي يقتضي دراسة تلك المقاصد وبيان عَلاقة كل منها بجوهر التربية الأصيل، وذلك هو الغرض من هذا البحث[٦].

منطلقات البحث:

ننطلق في هذا البحث - أساسًا - مما كشفه لنا بحثنا التحليلي التأصيلي لمفهوم التربية من:

- «أن هُناك علاقة وثيقة بين جوهر مفهوم التربية الأصيل - وهو الترقي في معارج الكمالات - وكون الكمال المطلق إنما هو لله وحده سبحانه، كما هو مقرر في القرآن الكريم»[٧] باعتبار أن ذلك الكمال

(١) ذلك ما كشف عنه بحثنا التحليلي التأصيلي لمفهوم التربية، حيث خلصنا فيه إلى تحرير «مفهوم التربية الأصيل» تحريرًا جامعًا تأصيليًا على هذا النحو: «التربية عملية تنشئة متواصلة ورعاية دائمة وترقية متدرجة للمربوب إلى حد الكمال». انظر: محمد أبوبكر المصلح، نحو إحياء مفهوم التربية الأصيل، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد ٣٦، العدد ٢، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، جامعة قطر، ص: ١١٠.

(٢) المصدر السابق، ص: ١١٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣م)، ص: ٧٩.

(٥) أشار إلى قريب من هذا المعنى - وإن كان في سياق تناوله لمقصد العبادة فقط - عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، (تونس: دار الزيتونة للنشر، د.ت)، ص: ٧٠.

(٦) خصصنا هذا البحث لتحقيق هذا الغرض استجابة للتوصية الواردة في ختام البحث التحليلي التأصيلي لمفهوم التربية، (المصلح، نحو إحياء مفهوم التربية الأصيل، ص: ١٢٠).

(٧) المصلح، نحو إحياء مفهوم التربية الأصيل، ص: ١٢٠.

المطلق لله إنما هو «المثل الأعلى المُوجِّه والهادي والمُلهِم والمُعين على ترقٍ شامل ومتكامل في معارج الكمالات للمربوبين، بل إنه لا يتصور - في ضوء القرآن - أي: ترقٍ شامل ومتكامل في معارج الكمالات للمربوبين، ومن ثم تمثل أسمى لجوهر التربية، بدون الاستلهام والاستهداء والاستعانة بالمثل الأعلى للكمال الذي لا ند له»[1].

- وأن كمال الله يقتضي أنه لم يخلق الوجود عبثًا، بل إن خلقه للوجود ليس إلا مظهرًا من مظاهر الكمال في مثله الأعلى، وذلك يستلزم بالضرورة أن للخلق مقاصد وأسرارًا[2].

ولما كانت تلك المقاصد والأسرار خفية الإدراك، فقد اهتم القرآن اهتمامًا كبيرًا بتلك القضية الخطيرة، ولفت عناية الإنسان إليها من خلال تعريفه بصفات خالقه، ومقتضياتها، وتبصيره بذاته، وبحقيقة وجوده، وبالغاية من خلقه، وبحقيقة حياته الدنيوية التي يعيشها، وبمصيره بعد موته، وبطبيعة علاقته بغيره من المخلوقات، وبحقيقة الكون المحيط به، وأمره بالتفكر في ذلك كله، والعمل بما يقتضيه؛ ليحقق الإنسان إنسانيته والتي لا تتحقق إلا بقدر ما يحقق الإنسان من مقاصد خلقه كما أكدنا عليه آنفًا.

وسر ذلك الاهتمام الكبير في القرآن بتبصير الإنسان بتلك القضية الكُبرى، ولفت عنايته إليها، يرتكز أساسًا على أن الله خلق الإنسان وكرّمه وفضّله على كثير ممن خلق، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠]، ولا شك أن ذلك التكريم لحكمٍ عُليا وغايات كُبرى ومقاصد عظيمة؛ ذلك أن الله -سبحانه- حكيم، فلا يصدر منه فعل إلا بمقتضى حكمته. وبما أنه من تلك الحكم والغايات والمقاصد ما هو متعلق بأفعال الإنسان الاختيارية، فإن القرآن بصّر الإنسان بها ولفت عنايته إليها، بالقدر الذي يمكنه من مراعاتها والالتزام بمقتضياتها، وعدم الانحراف عنها ومخالفة مترتباتها، وذلك حقيقة التكليف.

وبالاستقراء يتبين لنا أن القرآن الكريم، تناول قضية مقاصد خلق الإنسان في سياقات متعددة وبأساليب متنوعة، مما تتطلب الدراسة والمقارنة في ضوء سياقاتها التي وردت فيها، وتحليل العَلاقات فيما بينها والعلاقة بين كل مقصد منها وبين جوهر التربية الأصيل، وسنقتصر هنا على دراسة مقاصد الخلق التي كشف عنها القرآن بصِيَغِ تعليلٍ ظاهرةٍ، وهي المقاصد الخمسة التالية: العبادة، والاستخلاف في الأرض، وعمارة الأرض، والابتلاء، والاختلاف بين الناس.

(١) المصدر السابق، ص: ١١٦.
(٢) المصدر السابق، ص: ١١٨.

أهمية البحث ومنهجيته:

وتأتي أهمية هذا البحث من أن مقاصد الخلق رغم أهميتها في تحقيق إنسانية الإنسان، ورغم عَلاقتها الوثيقة بجوهر التربية الأصيل الذي كشفنا عنه، إلا أنه لا يبدو لنا – حسب بحثنا في الدراسات التربوية التأصيلية – أنها نالت الاهتمام اللائق بها دراسةً وتحليلًا وتأصيلًا، إضافةً إلى أن هُناك قدرًا من الخلط واللبس والنظر القاصر لدى البعض في دلالات تلك المقاصد، وفي عَلاقة كل مَقصد بالآخر، وفي المقتضيات التربوية لتلك المقاصد، كما سيتضح في ثنايا هذا البحث. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنَّ تحليل تلك المقاصد وعَلاقتها بجوهر التربية الأصيل، من شأنه أن يُسهم في تعميق مفهوم التربية الأصيل ويثري البحث فيه، إضافة إلى ما كشفه البحث التحليلي التأصيلي للمفهوم، والذي أشرنا إليه آنفًا في منطلقات هذا البحث.

ولا نعني هُنا أنه لا تُوجد دراسات في موضوع مقاصد الخلق؛ إذ هُناك من تناول هذا الموضوع – وإن كنا لم نقع على دراسة واحدة تناولت جميع هذه المقاصد الخمسة – وإنما نعني أن الموضوع هذا لم يحظ بالاهتمام بالقدر المكافئ لأهميته، وحيويته بالأخص في مجال تأصيل التربية، كما سيتبين في هذا البحث.

ولتحقيق ما نصبو إليه؛ سنتبع المنهجية التحليلية التأصيلية في ضوء القرآن الحكيم باعتباره «المرجعية العُليا للتأصيل وتأسيس منظومة المفاهيم والتصورات الفكرية الخاصة بالأمة الإسلامية، ودستورها الخالد الذي تُؤسس في ضوئه مناهج حياتها كلها»[(١)]، إضافةً إلى أننا – وكما يقول الأستاذ الفيلسوف طه عبد الرحمن: «لا نملك أصلًا تداوليًّا أقوى من النص القرآني نبني عليه تصوراتنا وتحليلاتنا»[(٢)]، ولا سيما في المجال التربوي حيث إن «جوهر ما يدعو إليه القرآن بأكمله هو هداية الناس وتربيتهم، والدعوة إلى التغيير للأحسن... والمنهج القرآني في التغيير تربوي بالأساس»[(٣)]. وتتضمن المنهجية المتبعة في البحث القيام بثلاث خطوات رئيسة، هي:

- تحديد الآيات القرآنية التي كشفت عن مقاصد الخلق بِصِيَغِ تعليلٍ ظاهرةٍ – وهي المقاصد الخمسة – بناءً على الاستقراء الذي أشرنا إليه في منطلقات البحث، ومن ثَم دراستها دراسة دلالية مقارنة في ضوء سياقاتها؛ لمعرفة دلالاتها وبيان الفروق بينها، والعَلاقات فيما بينها، مع الاستفادة من

(١) المصلح، نحو إحياء مفهوم التربية الأصيل، ص: ١٠١.

(٢) طه عبد الرحمن، دين الحياء: من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني – أصول النظر الائتماني، (بيروت: المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ٢٠١٧م)، ج١، ص: ٣٦.

(٣) الاقتباس مترجم من ملخص البحث الآتي:
Nedim Haracic and M. Y .Zulkifli Mohd Yusoff ,The Reasons of Social Change and the Role of Mentoring Therein; Its Methods and Contexts from a Qur'anic Perspective ,*Albayan Journal* ,vol.14 ,issue ,2016 ,1 pp.89-118.

ثـراء كتـب التفسـير، وبالأخـص تلـك التـي اهتمـت بتحقيـق المسـائل الدقيقـة المتعلقـة بمقاصـد الخلـق، وتلـك التـي اهتمـت بالجوانـب التربويـة فيهـا ذات الصلـة بموضوعنـا.

- تحليـل العَلاقـة بـين دلالـة كل مقصـد مـن المقاصـد الخمسـة – بنـاءً عـلى الخطـوة السـابقة – ودلالـة جوهر التربيـة الـذي أشرنـا إليـه في مقدمـة هـذا البحـث ومنطلقاته.
- استخلاص أهم النتائج من الخطوتين السابقتين، وبيان الآفاق التي تفتحها تلك النتائج.

أولًا: العبادة وجوهر التربية الأصيل:

يجـدر بنـا أن نبـدأ البحـث عـن مقاصـد الخلـق وأسراره مـن أصرح أسـاليب القـرآن، وأوضحهـا في تبصـير الإنسـان بالغايـة مـن خلقـه، ألا وهـو أسـلوب القـصر مـع لام التعليـل في قولـه تعـالى: ﴿وَمَـا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالْإِنْـسَ إِلَّا لِيَعْبُـدُونِ﴾ [الذاريـات:٥٦]؛ فالـلام في: ﴿لِيَعْبُـدُونِ﴾ لام العلـة، «أي: مـا خلقتهـم لعِلـة إلا عِلـة عبادتهـم إيـاي»[١]، فهُنـا «قـصر عِلـة خلـق الله الإنـس والجـن عـلى إرادتـه أن يعبـدوه»[٢]. ونظـرًا لاسـتخدام أسـلوب القـصر هـذا في التصريـح بهـذه الغايـة مـن الخلـق؛ سـاد الزعـم بأنهـا هـي الغايـة الفريـدة التـي كشـف عنهـا القـرآن! إلا أن القـصر في هـذا السـياق – بنـاءً عـلى تحقيـق ابـن عاشـور الدقيـق لدلالـة الآيـة في ضـوء سـياقها الـذي يفيـد التعريـض بالمشركـين، والتشـنيع بحالهـم مـن الانحـراف عـمَّا خُلقـوا مـن أجلـه، وعـن الفطـرة التـي خلقهـم الله عليهـا فخالفـوا سـنتها باتّباعهـم لإضـلال المضلـلين[٣] – «قـصر إضـافي... أي: إلا ليعبـدوني وحـدي... وليـس قـصرًا حقيقيًـا؛ فإنَّـا وإن لم نطَّلـع عـلى مقاديـر حِكـم الله – تعـالى – مـن خلـق الخلائـق، لكنـا نعلـم أن الحكمـة مـن خلقهـم ليسـت مجـرد أن يعبـدوه، لأن حِكـم الله – تعـالى – مـن أفعالـه كثـيرة لا نُحيـط بهـا، وذِكـر بعضهـا كـما هُنـا لا يقتـضي عـدم وجـود حِكمـة أُخـرى، ألا تـرى أن الله ذكـر حِكـمًا للخلـق غـير هـذه»[٤]، كـما سـيأتي. وسـياق هـذه الآيـة يفيـد كذلـك أن المقصـود – بالأسـاس – في هـذا المقصـد هـم الإنـس «وإنـما ذكـر الجـن إدماجًـا...ومـا ذكـر الله الجـن هُنـا إلا لتنبيـه المشركـين بـأنَّ الجِـن غـير خارجـينَ عـن العبوديـة لله – تعـالى – ... وتقديـم الجـن في الذكـر للاهتـمام بهـذا الخـبر الغريـب عنـد المشركـين الذيـن كانـوا يعبـدون الجـن؛ ليعلمـوا أن الجـن عبـاد لله – تعـالى –»[٥].

فما حقيقة مقصد العبادة؟ وما علاقته بجوهر التربية الأصيل؟

---

(١) محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ج: ٢٧، ص: ٢٥.
(٢) المصدر السابق، ج: ٢٧، ص: ٢٦.
(٣) المصدر السابق، ج: ٢٧، ص: ٢٥.
(٤) المصدر السابق، ج: ٢٧، ص: ٢٦-٢٧.
(٥) المصدر السابق، ج: ٢٧، ص: ٢٨.

إن ما يسترعي انتباهنا - ونحن نبحث في حقيقة هذا المقصد من الخلق - وجود صلة وثيقة بينه وبين جوهر التربية الأصيل - وهو الترقي في معارج الكمال - وأن الإنسان ما يزال يترقى في تلك المعارج ما دام يتربى، مستهديًا بالمثل الأعلى للكمال. هذا ما يتضح - ابتداءً - من خلال الحاجة إلى التربية في تحقيق الناس مقصد عبادة الله وحده وعدم إشراكهم غيره في العبادة الذي يفيده أسلوب القصر الإضافي في الآية؛ «فالله - تعالى - خلق الناس على تركيب يقتضي النظر في وجود الإله ويسوق إلى توحيده، ولكن كسب الناس يجرف أعمالهم عن المهيع الذي خُلقوا لأجله، وأسباب تمكنهم من الانحراف كثيرة»[(١)]، ومن هُنا يأتي دور التربية بمفهومها الأصيل، التي تعالج أسباب انحراف الناس عن هذا المقصد الذي خُلقوا من أجله؛ لكي تحقق التربية غايتها وهو العروج نحو الكمال.

إلا أن العَلاقة بين التربية وبين هذا المقصد لا تقتصر على معالجة أسباب الانحراف عن المقصد، وإنما هُناك صلة أخرى تتعلق بفكرة الترقي نحو الكمال، فبقدر تحقيق هذا المقصد يرتقي الإنسان ارتقاءً كماليًّا؛ ذلك «أن تكاليف الله للعباد على ألسنة الرسل ما أراد بها إلا صلاحهم العاجل والآجل - معًا - وحصول الكمال النفساني بذلك الصلاح، فلا جرم أن الله أراد من الشرائع كمال الإنسان، وضبط نظامه الاجتماعي في مختلف عصوره. وتلك حكمة إنشائه، فاستتبع قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أنه ما خلقهم إلا ليُنتظم أمرهم بوقوفهم عند حدود التكاليف التشريعية من الأوامر والنواهي»[(٢)].

وتتضح هذه الصلة أكثر بالبيان الآتي لابن عاشور - رحمه الله - عن سر العبادة وتأثيرها وعَلاقتها بالكمال، وذلك عند تدبره لقوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] وربطها بدلالة آية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. استهل ابن عاشور بيانه بالإشارة إلى أن الحكمة من خلق الله لهذا العالم، إظهار كمال صفاته - تعالى: الوجود، والعلم، والقدرة، وأنه «جعل قبول الإنسان للكمالات التي بمقياسها يعلم نسبة مبلغ علمه وقدرته من علم الله - تعالى - وقدرته، وأودع فيه الروح والعقل اللذين بهما يزداد التدرج في الكمال؛ ليكون غير قانع بما بلغه من المراتب في أوج الكمال والمعرفة، وأرشده وهداه إلى ما يستعين به على مرامه؛ ليحصل له بالارتقاء العاجل رقي آجل لا يضمحل، وجعل استعداده لقبول الخيرات كلها عاجلها وآجلها متوقفًا على التلقين من السفرة الموحى إليهم بأصول الفضائل»[(٣)]، وبيَّن بعد ذلك أثر العبادة وسر تشريعها وعَلاقتها بالكمال، فقال: «ولما توقف ذلك على مراقبة النفس في نفراتها وشرداتها وكانت تلك المراقبة تحتاج إلى تذكر المجازي بالخير وضده، شرعت

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ٢٧، ص: ٢٦.
(٢) المصدر السابق، ج: ٢٧، ص: ٢٧.
(٣) المصدر السابق، ج: ١، ص: ١٨٢.

العبادة لتذكر ذلك المجازي؛ لأن عدم حضور ذاته واحتجابه بسبحات الجلال يسرب نسيانه إلى النفوس، كما أنه جعل نظامه في هذا العالم متصل الارتباط بين أفراده، فأمرهم بلزوم آداب المعاشرة والمعاملة لئلا يفسد النظام، ولمراقبة الدوام على ذلك أيضًا شرعت العبادة لتذكر به، على أن في ذلك التذكر دوام الفكر في الخالق وشؤونه، وفي ذلك تخلق بالكمالات تدريجًا، فظهر أن العبادة هي طريق الكمال الذاتي والاجتماعي مبدأً ونهايةً، وبه يتضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾»[1].

وما يشير إليه ابن عاشور هُنا - من ربط عميق لطيف بين مقصد العبادة وبين التدرج في معارج الكمال الذاتي والاجتماعي، عبر ما تحققه العبادة من التذكير وما فيه من تخلق بالكمالات تدريجًا - يؤكد الصلة بين مقصد العبادة وجوهر التربية الأصيل، ويتعزز هذا الربط العميق الذي أشار إليه ابن عاشور بكون روح العبادة إنما هو الذِّكر، وذلك ما أشارت إليه آيات عديدة منها على سبيل المثال: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:١٤]، وما في الذِّكر من ارتقاء نحو المثل الأعلى للكمال، والأخذ بالنصيب الأوفى مما ترمز إليه معاني أسمائه الحسنى من صفات الكمال[2]. «وإذا كانت عبادة الله ليست إلا الاقتراب من الكامل المطلق الكمال، فإنها ليست في الحقيقة إلا ارتقاء بالوجود الإنساني إلى درجات الكمال»[3]. ذلك أن التعبد بذكر الله يفتح العقول والقلوب على صفات الكمال في مثله الأعلى؛ فللّه سبحانه وتعالى - كما هو ثابت في القرآن - أسماء بالغة في الحسنى غايتها، وتدل على صفات بالغة في الكمال منتهاها، ولا يماثله فيها أحد بإطلاق، والتي أمر الله عباده أن يتعبدوه بها وحده ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وذلك هو مقتضى «الأحدية في الأسماء والصفات» والتي هي إحدى دلالات مفهوم الأحدية «الذي يُعد، باستقراء الوحي، أجمع مفهوم لتجليات الكمال في مثله الأعلى»[4]. والعلم بأسماء الله الحسنى وما تدل عليه من صفات كمال وجلال، أساس الترقي السامي في معارج الكمال في ضوء القرآن، من حيث إنه أصل للعلم بكل معلوم؛ إذ كما يبين الإمام ابن القيم - رحمه الله: «إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه: إما أن تكون خلقًا له - تعالى - أو أمرًا، إما علم بما كوّنه، أو علم بما شرّعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى... وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده، فوجود من سواه تابع لوجوده تبع المفعول المخلوق لخالقه،

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ١، ص: ١٨٢.

(٢) انظر في هذا المعنى ما ذكره الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله- في كتابه الفريد «فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء»، (دمشق: دار القلم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص: ١٦-١٧.

(٣) عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، ص: ٧٠-٧١.

(٤) المصلح، نحو إحياء مفهوم التربية الأصيل، ص: ١١٧.

فكذلك العلم به - تعالى - أصل للعلم بكل ما سواه»[١].

وكلما تعبد الإنسان بتلك الأسماء الحسنى وما تدل عليه من صفات كمال، وعمل بمقتضياتها في حقه حسب دلالالتها، كلما ارتقى في معارج الكمال السامي. ويتضح هذا أكثر بالتأمل في أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن وما تدل عليه من صفات كمال ومقتضياتها في حق الإنسان، ولبيان ذلك بإيجاز يمكننا أن نصنف تلك الأسماء الحسنى تصنيفًا محققًا لغرضنا في هذا البحث إلى **ثلاثة أنواع**:

- **الأول منها**: هو تلك الأسماء التي تدل على صفات كمال تُعد من أخص خصائص الربوبية المغايرة لخصائص غيره، مثل: صفة الخلق، والإحياء، والرزق...
- **والنوع الثاني**: هو تلك الأسماء التي تدل على صفات كمال لا تجوز ولا تليق إلا للخالق الأحد، مثل: صفة الكبرياء، والعلو، والجبروت...
- **والنوع الثالث والأخير**: هو تلك الأسماء التي تدل على صفات كمال ينبغي لعباده التخلق بها على قدر الإمكان ليرتقوا بها في معارج الكمال، مثل: صفة العدل، والعلم، والرحمة...[٢].

فأما النوع الأول من تلك الأسماء الحسنى وما تدل عليه من صفات الكمال التي هي من خصائص الربوبية، فإنه يبصّر الإنسان بحقيقة كبرى تتعلق بهُوية الإنسان الذاتية وعَلاقتها بالمثل الأعلى للكمال، تبصيرًا يلفت عناية الإنسان إلى أنه مهما بلغ من مرتبة في معارج الكمال، فإنه لا يمكن له أن يبلغ ذلك المثل الأعلى، وأنه مهما اتصف به من مزايا وصفات كمالية، فهي ليست في الحقيقة إلا فيوضًا من فيوضات صفات ذلك المثل الأعلى للكمال. وإنَّ تمثُّل تلك الحقيقة الكُبرى، من شأنه أن يمنع الإنسان من أن يغتر بتلك المزايا والصفات الكمالية، غرورًا يؤدي به إلى أن يَسكر بنشوة تلك المزايا والصفات، فيغفل كنهه وهويته الذاتية ويدَّعي لنفسه ربوبية زائفة يطغى بها على غيره، وهذا الغرور بلا شك صفة نقص في حقه، فضلًا عن أنه يخالف مقتضيات تلك الحقيقة الكُبرى، ومعلوم أن مخالفة مقتضيات الحقيقة صفة نقص كذلك. إذًا فتمثُّل تلك الحقيقة من شأنه أن يعصم من الوقوع في مثل هذه النقائص المتعارضة مع الكمال البشري، وبالتالي فإنَّ ذلك التمثل لتلك الحقيقة من صميم التربية بمفهومه الأصيل.

وأما النوع الثاني من تلك الأسماء الحسنى، فإنَّما هي تدل على صفات كمال لا تجوز ولا تليق إلا للخالق الأحد من حيث إنه لا ند له ولا شريك معه، وإلا لفسدت السماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، أما في حق غيره فليست صفات كمال؛ إذ من شأنها

(١) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ)، ج: ١، ص: ٢٨٦-٢٨٧.
(٢) انظر؛ العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال وصالح الأعمال والأقوال، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م).

في حالهم أن تفضي إلى صفات مذمومة مثل الطغيان والبغي والظلم والتكبر والفساد، وبالتالي فإنَّ تمثُّل تلك الحقيقة، والعمل بمقتضياتها من صميم التربية بمفهومه الأصيل كذلك؛ لكونه يعصم من مثل هذه الصفات المذمومة والتي تتعارض مع الكمال البشري.

وأما النوع الثالث من تلك الأسماء الحسنى فإن الاتصاف بما تدل عليه من صفات كمال والتخلق بها - بقدر الإمكان[1] - إنما هو في الحقيقة عروج سامٍ في معارج الكمال التي تقرب إلى المثل الأعلى في الكمال، وذلك هو جوهر الذِّكر الموصِّل لمقام عالٍ في ذلك العروج، ألا وهو مقام المحبة، كما يدل عليه القرآن. فمن الثابت في القرآن أن «أحب خلق [الله] إليه من اتصف بموجب [أسمائه وصفاته]، وأبغضهم إليه من اتصف بضدها، ولهذا يبغض الكفور والظالم والجاهل والقاسي القلب، والبخيل والجبان والمهين واللئيم، وهو سبحانه جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، ستّير يحب أهل الستر، قادر يلوم على العجز، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، عفوٌ يحب العفو... وكل ما يحبه من آثار أسمائه وصفاته وموجبها، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها»[2].

وعليه؛ فكلما حقق الإنسان مقصد العبادة ومقتضياتها كلما تقرب إلى خالقه، وكلما ارتقى في معارج الكمال، وبتحقيق مقصد العبادة يتحرر الإنسان من كل عبودية لغير خالقه، تحول دون ذلك الترقي في معارج الكمال السامي، سواءٌ كان على مستوى الأفراد أم على مستوى الأمم. هذا ما ينوه إليه القرآن في مواضع عدة، نخص منها بالذكر ما تفطن له ولفت إليه ابن عاشور - رحمه الله - حيث استشهد على ذلك بما جاء في قصة نبي الله سليمان - عليه السلام - مع ملكة سبأ في القرآن، وتحديدًا في قول الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ، وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل:٤٢-٤٣]، فقال: «أي: صدها عن حصول العلم النافع عبادتها الشمس، فكانت بذلك الاعتقاد منصرفة عن الكمال العلمي، والرشد الفكري، واستكمال الحضارة الصحيحة»[3].

فالدينونة لغير الله تأسر الإنسان وتقيده وتحول بينه وبين الترقي السامي في معارج الكمال، كيف لا وهي حجاب بين الإنسان وبين الانفتاح على صفات الكمال في مثله الأعلى، إضافةً إلى أن الدينونة لغير الله

(١) لمناقشة قضية إمكانية التخلق بأسماء الله الحسنى وما تدل عليه من صفات كمال، ومناقشة الاعتراضات الواردة عليه، انظر؛ طه عبد الرحمن، دين الحياء، ج: ١، ص: ٦٨-٧٦.

(٢) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ص: ٢٨٢-٢٨٣.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (القاهرة: دار السلام، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص: ٧.

تحول دون تزكية الإنسان من الرعونات والتطهر من النقائص - وأكبرها الشرك بالله - تزكية ربانية؛ ذلك أن تلك التزكية لا تتحقق إلا بالعبودية لله وحده، والعمل بمقتضيات أسمائه الحسنى وما تدل عليه من صفات كمال، واتباع شريعته التي من أعظم مقاصدها تزكية النفوس، كما قال الله في كتابه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

فبالتزكية الربانية يرتقي الإنسان ارتقاءً ساميًا بانفتاحه على الأسماء الحسنى وما تدل عليه من صفات الكمال في مثله الأعلى، واستمداده منها تقرُّبًا إلى ربه، ولا أسمى من هذا الارتقاء؛ حيث إن تلك الأسماء الحسنى هي «خزائن القيم التي بها قوام تخلق الإنسان»[(١)]، والتي باستبصارها وتمثلها - بقدر الوسع- يتمكن الإنسان من الارتقاء الكمالي[(٢)]، ولا شك أن هذا الارتقاء - مع سموه- يبقى في حيز معارج الكمال الإنساني المباين للكمال الإلهي، «فمهما بلغ أي خُلق من أخلاق الإنسان غاية الحسن، فإن المسافة التي تفصله عن الصفة الإلهية التي تشاركه في الاسم تظل لا متناهية»[(٣)].

وبهذا تتضح لنا - بما يفي لغرضنا هُنا-أبعاد العَلاقة بين مقصد العبادة وبين جوهر التربية الأصيل، لما في تحقيق هذا المقصد من ترقٍ سامٍ في معارج الكمال.

ثانيًا: الاستخلاف في الأرض وجوهر التربية الأصيل:

الاستخلاف في الأرض يُعد أحد أبرز مقاصد خلق الله لنوع الإنسان؛ إذ كشف عنه القرآن في مستهل قصة خلق أبي البشر - آدم - في سورة البقرة، وذلك بخطاب الله للملائكة في الملأ الأعلى معلنًا لهم إرادته العُليا في استخلاف آدم في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]. والكشف عن هذا المقصد في هذا السياق -على وجه التحديد- له دلالاته من حيث إنه مقترن مع قصة خلق أول البشر، مما يعطي هذا المقصد شأنًا خاصًا.

فما حقيقة الاستخلاف في الأرض؟ وما علاقة هذا المقصد بمقصد العبادة السابق؟ وما العلاقة بينه وبين جوهر التربية الأصيل؟

لمعرفة حقيقة الاستخلاف في الأرض ينبغي ابتداءً مراعاة السياق القرآني الذي ورد فيه الإعلان الأول عن هذا المقصد الرباني في سورة البقرة؛ فمراعاة السياق مهم للغاية في الوقوف على ما يفيده ذلك الإعلان،

(١) طه عبد الرحمن، دين الحياء، ج: ١، ص: ٧٢.
(٢) انظر؛ المصدر السابق، ص: ٧١.
(٣) المصدر السابق، ص: ٧٠.

وإدراك حقيقة الاستخلاف حق الإدراك، وتوظيفه بالتالي -فيما نحن بصدده- توظيفًا متسقًا مع الغرض المنشود. وبتتبع السياق القرآني يُلاحظ أن ذلك الإعلان العلوي الجليل ورد في سياق قُصد منه الامتنان على بني آدم، فقد عُطف بحرف العطف «الواو» على النبأ الوارد في الآية التي سبقت ذلك الإعلان وهي الآية التي استُهلت بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]، والمقصود من ذلك النبأ -كما يفيده السياق وبما يتوافق مع فن البلاغة، وكما نوّه ابن عاشور- هو: «التذكير بأن الله هو خالق الأرض وما عليها وما في داخلها، وأنَّ ذلك كله خلقه بقدر انتفاعنا بها وبما فيها في مختلف الأزمان والأحوال، فأوجز الكلام إيجازًا بديعًا بإقحام قوله ﴿لَكُمْ﴾ فأغنى عن جملة كاملة، فالكلام مسوق مساق إظهار عظيم القدرة، وإظهار عظيم المنة على البشر، وإظهار عظيم منزلة الإنسان عند الله تعالى»[(١)]. وعطفُ ذلك الإعلان العلوي بخلق أول البشر على ذلك النبأ الذي فيه امتنان على بني آدم -بواو العطف- عطفٌ فيه حسن تخلص «من ذكر خلق السماوات والأرض إلى خلق النوع الذي هو سلطان الأرض»[(٢)]، كما أشار ابن عاشور حيث يبين ويقول: «وإذ قد كانت العبرة بخلق ما في الأرض جميعًا أُدْمِجت فيها منة وهي قوله: ﴿لَكُمْ﴾ المقتضية أن خلق ما في الأرض لأجلهم تَهَيَّأتْ أنفسهم؛ لسماع قصة إيجاد منشأ الناس الذين خُلقت الأرض لأجلهم؛ ليُحاط بما في ذلك من دلائل القدرة مع عظيم المنة، وهي منة الخلق التي نشأت عنها فضائل جمة، ومِنَّة التفضيل، ومنة خلافة الله في الأرض، فكان خَلق أصلنا هو أبدع مظاهر إحيائنا الذي هو الأصل في خلق ما في الأرض لنا، فكانت المناسبة في الانتقال إلى التذكير به واضحة مع حسن التخلص إلى ذكر خبره العجيب، فإيراد واو العطف هُنا لأجل إظهار استقلال هذه القصة في حد ذاتها في عظم شأنها»[(٣)].

وبمراعاة هذا السياق وفي ضوئه يمكننا تحديد المراد من جعل آدم خليفة تحديدًا دقيقًا راجحًا بعد رد ما ينافيه السياق من الاحتمالات والأقوال. فالسياق ينافي ابتداءً أن يكون المراد من قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ما ذهب إليه بعض المفسرين: «أي: قومًا يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرن وجيلًا بعد جيل»[(٤)] من حيث إن هذا التفسير لا يتناسب مع مقام الامتنان الذي يفيده السياق. كما أن سياق الآية ينافي أن يكون المراد من جعل الإنسان خليفة هو أن الإنسان يخلف مخلوقات، كانت قبله في الأرض كما جاء في بعض التفاسير؛ إذ إن «تعقيب ذكر خلق الأرض ثم السماوات بذكر إرادته -تعالى- جعل الخليفة

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ١، ص: ٣٧٩.
(٢) المصدر السابق، ج: ١، ص: ٣٧٥.
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ١، ص: ٣٩٥.
(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج: ١، ص: ٢١٦.

دليل على أن جعل الخليفة كان أول الأحوال على الأرض بعد خلقها»[١].

وبناءً على ذلك فإننا نتفق تمامًا مع ما ذهب إليه ابن عاشور بدقة في أن المراد من الخليفة في هذا السياق «الذي يتولى عملًا يريده المستخلف»[٢]، فيكون معنى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ هو: «إني جاعل في الأرض مدبرًا يعمل ما نريده في الأرض، فهو استعارة أو مجاز مرسل وليس بحقيقة؛ لأن الله -تعالى- لم يكن حالًا في الأرض ولا عاملًا فيها العمل الذي أودعه في الإنسان، ولأن الله -تعالى- لم يترك عملًا كان يعمله فوكله إلى الإنسان، بل التدبير الأعظم لم يزل لله -تعالى-»[٣]، إذ هو المتصف بصفة «القيوم» أي: «الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه»[٤]، بل إن جعله في الأرض خليفة هو من آثار قيوميته، من حيث إنه لم يجعل الخليفة ثم تركه من غير هُدىً ولا إعانة، بل هداه بالوحي، كما قال -تعالى- في تتمة قصة جعله في الأرض خليفة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨]، وأعانه على تحقيق مقصد الخلافة بتسخير ما في السماوات وما في الأرض له، ومنّ عليه بالنعم الميسرة له تحقيقه للمقصد، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠].

وعليه؛ فإنَّ السياق يفيد بأن الخلافة هُنا خلافة تشريف للخليفة من قبل المستخلف، لا لغيبته ولا لعجزه سبحانه، وذلك ما تقتضيه صفات كماله، والخلافة للتشريف هو أحد وجوه استعمالات لفظ الخلافة في اللسان العربي، كما بين الإمام الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن[٥]. ويفيد السياق كذلك بأن هذا التشريف لا يقتصر على شخص آدم، «فالآية جاءت في معرض الإخبار بخلق نوعٍ جديدٍ»[٦]، فالمقصود إذًا آدم وذريته، وإنما «استغني بذكره عن ذكر بنيه، كما يُستغنى بذكر أبي القبيلة في قولك مُضر وهاشم»[٧].

وكما أنَّ الخلافة فيها معنى التشريف لآدم وذريته، فهي تتضمن كذلك معنى التكليف لهم بالقيام بمقتضيات هذه الخلافة، وهذا ما أشار إليه القرآن في مواضع أخرى مثل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٢٩]، فالمراد بالاستخلاف: «الاستخلاف عن الله في ملك

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ١، ص: ٣٩٩.
(٢) المصدر السابق، ج: ١، ص: ٣٩٨.
(٣) المصدر السابق، ج: ١، ص: ٣٩٩.
(٤) محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ج: ١، ص: ٣٠٠.
(٥) يقول الراغب الأصفهاني: «والخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض»؛ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (دمشق: دار القلم، ط٥، ١٤٣٣ه/ ٢٠١١م)، مادة «رب»، ص: ٢٩٤.
(٦) عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩م)، ص: ٥١.
(٧) الزمخشري، الكشاف، ج: ١، ص: ١٢٤.

الأرض، والاستخلاف إقامة الخليفة، فالسين والتاء لتأكيد الفعل مثل استجاب له... ومعنى ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: التحذير من أن يعملوا ما لا يرضي الله -تعالى-... والمقصود بما تعملون عملهم مع الناس في سياسة ما استخلفوا فيه»[1]. وهذا التكليف يعني أن المطلوب من الإنسان الخليفة -كما يبين الإمام الشاطبي في سياق استقرائه المعمق لمقاصد الوحي من قرآن وسنة- «أن يكون قائمًا مقام مَن استخلفه، يُجري أحكامه ومقاصده مجاريها»[2]. ويترتب على ذلك أنه بقدر ما يجرى الإنسان أحكام من استخلفه ومقاصده مجاريها -أي: بقدر تحقيقه لمعنى تكليفه بالخلافة- يُقاس مدى تحققه بصفة الخليفة، أو مدى تمثله لمقصد استخلافه في الأرض.

وفي ضوء هذا البيان لحقيقة مقصد الخلافة، تتكشف العلاقة بين ذلك المقصد وبين مقصد العبادة، الذي انطلقنا منه في البحث عن مقاصد الخلق، من حيث إنها علاقة عموم وخصوص؛ ذلك أنَّ تمثُّل مقصد الخلافة يتضمن تحقيق مقصد العبادة، إذ إن تمثل مقصد الخلافة يقتضي إجراء مقاصد المستخلف مجاريها، كما سبق بيانه، وذلك يشمل مقصد العبادة بالضرورة. ثم إنَّ تمثُّل مقصد الخلافة - والذي هو بمثابة القيام مقام المستخلف- يتطلب الانفتاح على صفات المستخلف وتمثل ما تقتضيه، وذلك هو روح مقصد العبادة كما عرضنا عند تناولنا لهذا المقصد آنفًا. إضافةً إلى ذلك، فإنَّ قيام الإنسان بمقصد الخلافة يتوقف على تزكيته لنفسه، «فبمقدار ما تتزكى النفس وتصفو من كدورات الأهواء والرعونات، يُخلص صاحبها في تحمل كل ما يجب أن يتحمله... وبمقدار ما تنطوي تلك النفس على شوائبها ورعوناتها، يغدو صاحبها مجرد أداة للإفساد في الأرض»[3]، وهذا ما تفيده تتمة قصة خلق أبي البشر آدم التي انطلقنا منها في البحث عن مقصد الاستخلاف في الأرض، وآيات أُخر عديدة في مواضع أخرى من القرآن. وعليه، فإن تزكية النفس ليست إلا الشرط الأساس؛ لتحمل الإنسان أمانة الخلافة بحق، وبما أن جوهر مقصد العبادة هو التزكية -كما أشرنا آنفًا- فإنَّ تحقيق مقصد العبادة يُعد شرطًا لتحقيق مقصد الخلافة. إلا أن مقصد الخلافة يتضمن بُعدًا ساميًا إضافيًا، ألا وهو البُعد المتعلق بكون الإنسان كُلف بإدارة الأرض وفق منهج من استخلفه، الذي هو خالق الأرض ومالكها، ولا يخفى ما في هذا التكليف من سمو وتشريف.

وبذلك البيان لحقيقة مقصد الاستخلاف في الأرض، وعلاقته بمقصد العبادة السابق، تتضح لنا العلاقة بين تمثل مقصد الاستخلاف وبين جوهر التربية. فإنَّه - ومن ناحية أولى- على قدر تحقق الإنسان بصفة

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ٩، ص: ٦٢.
(٢) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.)، ج: ٢، ص: ٢٥٢.
(٣) محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، (بيروت ودمشق: دار الفكر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص: ٢٤.

الخليفة أو بقدر تمثله لمقصد استخلافه -والذي كما ذكرنا أنه أحد أبرز مقاصد خلقه- يكون ارتقاؤه في معارج الكمال عبر سُلم مقاصد الخلق، من حيث إن تحقق تمام الغاية من الشيء هو أحد أهم مقومات الارتقاء نحو الكمال. ومن ناحية أخرى، فإنَّ تزكية النفس والتي هي الشرط الأساس لتحمل الإنسان أمانة الخلافة بحق -كما اتضح عند بيان العَلاقة بين مقصد العبادة ومقصد الاستخلاف - هي من صميم جوهر التربية الأصيل، فالتزكية أحد جوانب التربية حيث إن مفهوم التربية يتضمن معنى التزكية، كما تبين لنا عند تحليل الدلالات الأصلية لكلمة التربية في بحثنا التحليلي لمفهوم التربية الأصيل[١]، فهذا وجه آخر من وجوه العلاقة بين تمثل مقصد الاستخلاف وبين جوهر التربية.

وعلى هذا تكون التربية ضرورية لتحقيق مقصد الاستخلاف في الأرض، كما أنه بقدر تحقيق هذا المقصد - بتمثل صفة الخليفة والاستجابة لمقتضياتها-يرتقي الإنسان في معارج الكمال فيكون أهلًا للمقام السامي، ألا وهو مقام سلطان الأرض. وهذا يُضفي بُعدًا ساميًا لمفهوم التربية الأصيل.

ثالثًا: عمارة الأرض وجوهر التربية الأصيل:

يجدر بنا أن نردف تناول مقصد الاستخلاف وعَلاقته بجوهر التربية ببيان مقصد عمارة الأرض وعَلاقته بمقصد الاستخلاف وبجوهر التربية، وذلك لارتباط المقصدين بعضهما ببعض مما جعل البعض يعدهما مقصدًا واحدًا[٢]، وذلك يستدعي منا التدقيق في طبيعة العلاقة بينهما؛ لننظر عما إذا كانا بالفعل مقصدًا واحدًا أم مقصدين مستقلين، ثم لنحدد طبيعة العلاقة بين مقصد عمارة الأرض وجوهر التربية الأصيل.

ونستهل بالقول بأن مقصد عمارة الأرض ورد في القرآن في سياق مستقل عن مقصد الاستخلاف في الأرض، وذلك في قول الله -تعالى- على لسان نبيه هود: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:٦١]، فقوله ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ يفيد أن الله فوض الإنسان بعمارة الأرض وكلّفه بذلك، فقد جاء في مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني تحت مادة: «عمر»: «وأعمرته الأرض واستعمرته: إذا فوضت إليه العمارة»[٣] وأشار إلى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، وفسره الزمخشري بقوله: «وأمركم بالعمارة»[٤]، ثم أورد وجوهًا أخرى في تفسيره ولكن بصيغة التضعيف[٥]، مما يدل على ترجيح الوجه الأول على الوجوه الأخرى، ويؤيد هذا التفسير ما أورده الإمام القرطبي في تفسيره عن زيد بن

(١) المصلح، نحو إحياء مفهوم التربية الأصيل، مصدر سابق، ص: ١٠٩.
(٢) انظر على سبيل المثال: النجار: فقه التحضر الإسلامي، ص: ٥٢؛ والبوطي: منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص: ٢٥.
(٣) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة «عمر»، ص: ٢٩٤.
(٤) الزمخشري، الكشاف، ج: ٢، ص: ٤٠٧.
(٥) انظر المصدر السابق.

أسلم: «أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن وغرس أشجار»[1]، وقريب من ذلك -وأكثر اتصالًا بغرضنا هُنا- ما جاء في أحكام القرآن لابن العربي عند تعرضه لهذه الآية من سورة هود وبعد نقله لمعاني صيغة استفعل في لسان العرب، إذ قال: «فقوله ﴿اسْتَعْمَرَكُمْ﴾، خلقكم لعمارتها»[2]، وعزز ذلك بالتعليل التالي: «لأنه الفائدة، ويعبر عن الشيء بفائدته مجازًا»[3].

وتفويض الإنسان وتكليفه بعمارة الأرض مرتبط بمنة تسخير ما في الأرض للإنسان، والتي أشار إليها القرآن في عدة مواضع منها -على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحج:٦٥]، والتسخير يفيد -من ناحية- أن «الله -تعالى- هيَّأ العالم بحيث يكون صالحًا لاستقبال الإنسان»[4]، كما يفيد -من ناحية أخرى- أن الله مكن الإنسان من استثمار ما في الأرض في عمارتها، وسهل له هذا التكليف، وإلا لعسُر عليه ذلك؛ إذ يدخل في معنى التسخير[5].

وعمارة الأرض مرتبطة كذلك بخلافة الأرض، ولكنهما عند التدقيق ليسا مترادفين؛ إذ معنى الخلافة - كما عرضناه عند الحديث عن مقصد الاستخلاف في الأرض - أشمل من معنى عمارة الأرض ودلالاتها أعظم وأسمى. إذًا فهما ليسا مقصدًا واحدًا كما يذهب البعض، فليس كل معمّر للأرض يمكن أن يُعد خليفة فيها، فالخلافة في الأرض مقام أسمى من مقام عمارة الأرض؛ إذ إن الخلافة بمثابة القيام مقام المستخلف. وهذا يقتضي إجراء مقاصد المستخلف وأحكامه مجاريها، وفقًا لتعبير الإمام الشاطبي كما سبق بيانه عند تناولنا لمقصد الاستخلاف في الأرض.

أما عمارة الأرض -مع أهميتها- فقد تتحقق بمقدار العمل بمقتضى نواميس الكون -التي وضعها الخالق- حتى ولو مع الكفر به، وعصيان أوامره؛ إذ إن تلك النواميس من طبيعتها أنها مطردة لا تتبدل

(١) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج: ٩، ص: ٥٦.

(٢) القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م)، ج: ٣، ص: ١٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، (فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإنساني، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص: ٥٨.

(٥) وكما يبين ابن عاشور أن التسخير: «تسهيل الانتفاع بدون مانع، وهو يؤذن بصعوبة الانتفاع لولا ذلك التسخير. وأصله تسهيل الانتفاع بما فيه إرادة التمنع، مثل: تسخير الخادم، وتسهيل استخدام الحيوان الداجن من الخيل، والإبل والبقر والغنم ونحوها، بأن جعل الله فيها طبع الخوف من الإنسان مع تهيئتها للإلف بالإنسان. ثم أطلق على تسهيل الانتفاع بما في طبعه أو في حاله ما يعذر الانتفاع به لولا ما ألهم الله إليه الإنسان من وسائل التغلب عليها بتعرف نواميسه وأحواله وحركاته وأوقات ظهوره، وبالاحتيال على تملكه مثل صيد الوحش ومغاصات اللؤلؤ والمرجان، ومثل آلات الحفر والنقر للمعادن، ومثل التشكيل في صنع الفلك والعجل. ومثل التركيب والتصهير في صنع البواخر والمزجيات والصياغة. ومثل الإرشاد إلى ضبط أحوال المخلوقات العظيمة من الشمس والقمر والكواكب والأنهار والأودية والأنواء والليل والنهار، باعتبار كون تلك الأحوال تظهر على وجه الأرض، وما لا يحصى مما ينتفع به الإنسان مما على الأرض فكل ذلك داخل في معنى التسخير»؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج: ١٧، ص: ٣٢١-٣٢٢.

ولا تتحول كما هو ثابت في القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣]، وهذا يدخل في مفهوم التسخير الذي أشرنا إليه، ويمكن أن يُستدل على ذلك بما ذكره القرآن عن الأمم الذين كذبوا رُسُلهم - مثل: عادٍ وثمودَ وقوم لوطٍ- في سياق إنذار الذين كذبوا الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعواقب تلك الأمم في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم:٩]، ومعنى عمروها في هذا السياق «جعلوها عامرة غير خلاء، وذلك بالبناء والغرس والزرع»[(١)]، فكل أولئك مع تكذيبهم لرسلهم «كانوا أشد قوة من قريش وأكثر تعميرًا في الأرض»[(٢)].

إلا أن عمارة الأرض مع الإصرار على مخالفة أوامر المستخلف، والاستكبار عن اتباع هديه، والكفر بنعمته والتكذيب برسله، تكون معرَّضة للفساد والخراب والبوار والدمار، فإنَّ هذا من سُنن الله في الأمم، وهو ما تحذر منه نفس الآية السابقة وآيات عديدة في القرآن مثل قوله تعالى:﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ، فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا، وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣]، والأولون «هم السابقون من الأمم الذين كذبوا رُسُلهم، بقرينة سياق الكلام»[(٣)].

وبناءً على ذلك، فإنَّ عمارة الأرض لا تكون خلافية -بمعنى أنها لا تسهم في تحقيق مقصد الخلافة - إلا إذا كانت على هدى المستخلف، وبذلك تتضح العلاقة بين مقصد عمارة الأرض ومقصد الاستخلاف في الأرض.

وفي ضوء ذلك تتكشف العلاقة بين مقصد عمارة الأرض وجوهر التربية، من حيث إن تحقيق هذا المقصد -باستكشاف نواميس الكون المسخَّر للإنسان واستثمارها في بناء الأرض وتنميتها وتطويرها -يُعد أحد مقومات الارتقاء في معارج الكمال.

رابعًا: الابتلاء وجوهر التربية الأصيل:

كشف القرآن عن مقصد الابتلاء في سياقات متنوعة وبأساليب مختلفة، أصرحها وأكثرها التصاقًا بجوهر التربية الأصيل ما ورد في صدر سورة الملك، فبعد أن استهلت السورة بما يدل على منتهى كمال الله - تعالى - وعموم قدرته[(٤)] كشف السياق عن مقصد الابتلاء في الآية التالية: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ٢١، ص: ٥٦.
(٢) المصدر السابق ج: ٢١، ص: ٥٧.
(٣) المصدر السابق، ج: ٢٢، ص: ٣٣٧.
(٤) يقول ابن عاشور: «فعل ((تبارك)) يدل على المبالغة في وفرة الخير وهو في مقام الثناء يقتضي العموم بالقرينة، أي: يفيد أن كل وفرة

لِيَبْلُوَكُمْ﴾، فاللام في ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ لام التعليل، «أي: في خلق الموت والحياة حكمة أن يبلوكم»[1]، ومعنى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: يختبركم[2].

والعَلاقة بين هذا المقصد وجوهر التربية الأصيل (العروج نحو الكمال) تتضح ابتداءً من كون الغاية من الابتلاء إظهار مدى جودة المبتلى من رداءته[3]، ولذلك أعقب هنا بقوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، وقال في سياق سورة محمد ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١]. ثم إن الابتلاء يكون بالشر والخير، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وأصل الفتن: «إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته»[4]، واستعمل بمعنى الاختبار في قوله -تعالى- في الآية الثانية من سورة العنكبوت: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] أي: «لا يختبرون فيميز خبيثهم من طيبهم»[5]، وفي قوله -تعالى- في الآية التي تليها: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]. وقد تعمق صاحب الظِلال في دلالة ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾ عند تعليقه على هذه الآية بما يجلي العلاقة بين مقصد الابتلاء، وبين جوهر التربية الأصيل حيث قال: «والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم، وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحدًا إلا بما استعلن من أمره وبما حققه فعله، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه»[6]. وتزداد العلاقة وضوحًا بين مقصد الابتلاء وجوهر التربية الأصيل بكون الابتلاء وسيلة للتصفية والتنقية لحمل أمانة التكليف، كما بين سيد قطب - رحمه الله - ببيان حسن:

قال: «حاشا لله أن يعذب المؤمنين بالابتلاء، وأن يؤذيهم بالفتنة، ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة، فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق، وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله وثوابه على الرغم من طول الفتنة وشدة

من الكمال ثابتة لله -تعالى- بحيث لا يتخلف نوع منها عن أن يكون صفة له -تعالى-»، انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ١٢، ص: ٩.

(١) المصدر السابق، ص: ٤١.

(٢) يقول الراغب الأصفهاني: «وبلوته: اختبرته»، انظر: مفردات ألفاظ القرآن، مادة «بلى»، ص: ١٢٦.

(٣) يقول الراغب الأصفهاني: «فإذا قيل في الله -تعالى-: بَلا كذا وابتلاه فليس المراد منه إلا ظهور جودته ورداءته...»، المصدر السابق، ص: ١٢٧.

(٤) المصدر السابق، مادة «فتن»، ص: ٤٧٩.

(٥) المصدر السابق، مادة «فتن»، ص: ٤٧٨.

(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، (بيروت والقاهرة: دار الشروق، ١٩٧٨م)، ج: ٥: ص: ٢٧٢٠.

الابتلاء، والنفس تصهرها الشدائد، فتنفي عنها الخبث وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع، وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل، وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامدًا إلا أصلبها عودًا وأقواها طبيعة، وأشدها اتصالًا بالله، وثقة فيما عنده من الحسنيين النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين يسلمون الراية في النهاية مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار»[(١)].

ومن هُنا تنجلي العلاقة بين مقصد الابتلاء وجوهر التربية، من حيث إن الابتلاء -كما اتضح معنا- وسيلة للترقي نحو الأجود، وهذا يلتقي مع جوهر التربية الذي هو الصعود نحو الأكمل. ومما يزيد من جلاء هذه العلاقة هو أن السياق الذي ورد فيه ذكر مقصد الابتلاء في القرآن بأصرح أسلوب - وهو صدر سورة الملك -فيه إشارة إلى جانب حيوي من هذه العلاقة ألا وهو المثل الأعلى للكمال، من حيث إن السورة استهلت بما يدل على منتهى كمال الله -تعالى-كما ذكرنا في بداية الحديث عن مقصد الابتلاء.

ومن هنا تتضح العلاقة أيضًا بين مقصد الابتلاء والمقاصد الثلاثة الأخرى: (العبادة، والاستخلاف في الأرض، وعمارتها) من حيث إن تلك المقاصد تتضمن معنى الابتلاء أي: الاختبار. إلا أن مقصد الابتلاء هو مقصد قدري للخلق، أما المقاصد الثلاثة السابقة فهي مقاصد تكليفية. والفرق بين نوعي المقاصد، هو أن الإنسان مكلّف بتحقيق المقاصد التكليفية، ولكنه غير مكلّف بتحقيق المقاصد القدرية؛ إذ إن تحققها محتوم وواقع للإنسان بغض النظر عن عمله، وإنما هو مكلّف بتحقيق مقتضيات تلك المقاصد، فالإنسان غير مكلّف مثلًا بتحقيق الابتلاء بنفسه أو لنفسه أو لغيره، إذ إن الابتلاء مقدَّر عليه من الله، لكن الإنسان مكلّف بمقتضيات الابتلاء من صبر أو شكر، بحسب نوع الابتلاء، وبقدر تحقيق المبتلى لتلك المقتضيات يكون أصفى وأنقى وأجود، وبقدر ذلك يرتقي في معارج الكمال، وبقدر ارتقائه يتعرض لابتلاء أشد فأشد؛ ليرتقي أكثر فأكثر في معارج الكمالات[(٢)]، حتى الموت الذي هو الابتلاء الأخير[(٣)]، والذي يعقبه ارتقاءٌ في جنات النعيم[(٤)] لمن تغشاه الله برحمته ورضوانه، وذلك الارتقاء الأخروي فضل من الله على عباده جزاءً لهم على تحقيقهم لمقتضيات الابتلاء في الحياة الدنيا، وهو ارتقاء كمالي لا يضاهيه ارتقاء؛ إذ هو ارتقاء متصف بالخلود الذي هو من أخص خصائص الكمال الحقيقي.

(١) المصدر السابق، ج: ٥، ص: ٢٧٢١.

(٢) يشهد لذلك الحديث الذي ورواه سعد رضي الله عنه: «سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلاَبَةٌ زِيدَ صَلاَبَةً، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، خُفِّفَ عَنْهُ، وَلَا يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ مَا لَهُ خَطِيئَةٌ» انظر: سنن الدارمي، ج: ٣، ص: ١٨٣٢؛ سنن الترمذي، ج: ٤، ص: ١٧٩؛ السنن الكبرى للنسائي، ج: ٧، ص: ٤٦.

(٣) القرآن سمى الموت مصيبة في قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [المائدة:١٠٦].

(٤) تأمل في الحديث الذي رواه الترمذي بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا)، سنن الترمذي، ج: ٥، ص: ٢٧.

خامسًا: الاختلاف بين الناس وجوهر التربية الأصيل:

الاختلاف بين الناس -مثل الابتلاء- مقصد قدري لا مقصد تكليفي، فالبشر غير مكلّفين بتحقيق الاختلاف فيما بينهم، إذ إنه مقدر من الله عليهم لحكمة عُليا، إلا أنهم مكلّفون بالعمل بمقتضى ذلك المقصد وتلك الحكمة. وقد أشار القرآن إلى هذا المقصد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٨-١١٩]. وقد ذهب المفسرون مذاهب شتى في تفسير هاتين الآيتين واحتاروا في الجمع بينهما واختلفوا في المقصود بقوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾. وقد فسر ابن عاشور هاتين الآيتين تفسيرًا واضحًا مزيلًا للحيرة، مراعيًا السياق الذي وردتا فيه، وجامعًا بين الآيتين جمعًا منهجيًا دقيقًا ومقنعًا، ومبينًا بعض جوانب الحكمة من مقصد، أو عِلة خلق الناس مختلفين بيانًا فيه ربط حسن بفكرة الارتقاء، وبما يلائم ويفي بغرضنا هنا من بيان لحقيقة هذا المقصد وتحديد العلاقة بينه وبين جوهر التربية الأصيل (أي: العروج في معارج الكمال).

فلذا؛ يجدر بنا أن ننقل بالنص من تفسيره ما يحقق غرضنا هنا، فقد وفّى وأجاد، واستهل ذلك ببيان أن «الحكمة التي أقيم عليها نظامُ هذا العالم اقتضت أن يكون نظام عقول البشر قابلًا للتطوّح بهم في مسلك الضّلالة أو في مسلك الهدى على مبلغ استقامة التفكير والنظر، والسلامة من حجب الضلالة... فمن الناس مهتد وكثير منهم فَاسِقُونَ ولو شاء لَخلق العقولَ البشرية على إلهام متّحد لا تَعْدوه»[(١)]، وربط بين هذه الحكمة ومراد الله من خلق البشر، فقال: «فلا شكّ أن حكمة الله اقتضت هذا النظام في العقل الإنساني؛ لأنّ ذلك أوفى بإقامة مراد الله -تعالى- من مساعي البشر في هذه الحياة الدنيا الزائلة المخلوطة، لينتقلوا منها إلى عالم الحياة الأبديّة الخالصة، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، فلو خلق الإنسان كذلك لما كان العمل الصالح مقتضيًا ثواب النعيم، ولا كان الفساد مقتضيًا عقاب الجحيم»[(٢)]، ثم ربط بين ذلك وبين فكرة الارتقاء في مدارج الكمال، فقال: «فلا جرم أنّ الله خلق البشر على نظام من شأنه طريان الاختلاف بينهم في الأمور، ومنها أمر الصلاح والفساد في الأرض، وهو أهمّها وأعظمها ليتفاوت الناس في مدارج الارتقاء ويَسْموا إلى مراتب الزلفى فتتميز أفراد هذا النوع في كل أنحاء الحياة»[(٣)].

ثم بين أن مفعول فعل المشيئة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ محذوف؛ لأنّ المراد منه ما يُساوي

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ١٢، ص: ١٨٧-١٨٨.
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ١٢، ص: ١٨٨.
(٣) المصدر السابق نفسه.

مضمون جواب الشرط فحُذف إيجازًا. والتقدير: ولو شاء ربك أن يجعل الناس أمّة واحدة لجعلهم كذلك»[١]، وبعد أن بيَّن أن «معنى كونها واحدة أن يكون البشر كلّهم متّفقين على اتّباع دين الحق، كما يدل عليه السياق، فآل المعنى إلى: لو شاء ربك لجعل الناس أهل ملّة واحدة فكانوا أمّة واحدة من حيث الدّين الخالص»[٢]، قال ابن عاشور: «وفهم من شرط «لو» أنْ جعلهم أمّة واحدة في الدّين منتفية، أي: منتفٍ دوامها على الوحدة في الدّين وإنْ كانوا قد وُجدوا في أوّل النشأة متّفقين فلم يلبثوا حتّى طرأ الاختلاف بينَ ابنيْ آدم عليه السّلام لقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] وقوله: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ في سورة (يونس: ١٩)؛ فعلم أنّ الناس قد اختلفوا فيما مضى فلم يكونوا أمّة واحدة... فأعقب ذلك بأنّ الاختلاف دائم بينهم ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾؛ لأنّه من مقتضى ما جُبِلت عليه العقول»[٣].

وربط ابن عاشور بين الآيتين بقوله: «ولمّا أشعر الاختلاف بأنه اختلاف في الدّين، وأنّ معناه العدول عن الحق إلى الباطل، لأنّ الحق لا يقبل التعدّد والاختلاف، عُقّب عموم ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ باستثناء من ثبتوا على الدين الحق ولم يخالفوه بقوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، أي: فعصمهم من الاختلاف»[٤]. ثم بين معنى الاختلاف في هذا السياق فقال: «وفهم من هذا أنّ الاختلاف المذموم المحذّر منه هو الاختلاف في أصول الدّين، الذي يترتّب عليه اعتبار المخالف خارجًا عن الدين وإن كان يزعم أنّه من مُتّبعيه... وهذه الآية تحذير شديد من ذلك الاختلاف»[٥].

ثم دقق في دلالة التعقيب ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ بما يكشف عن معنى مقصد الاختلاف فقال: «فهو تأكيد بمضمون ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾، والإشارة إلى الاختلاف المأخوذ من قوله: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾، واللام للتعليل؛ لأنّه لمّا خلقهم على جِبلّة قاضية باختلاف الآراء والنزعات وكان مريدًا لمقتضى تلك الجبلّة وعالمًا به -كما بيّناه آنفًا-، كان الاختلاف عِلّة غائية لخلقهم، والعِلَّة الغائية لا يلزمها القصر عليها بل يكفي أنها غاية الفعل، وقد تكون معها غايات كثيرة أُخر... وتقديم المعمول على عامله في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ ليس للقصر بل للاهتمام بهذه العِلَّة، وبهذا يَندفع ما يوجب الحيرة في التفسير في الجمع بين الآيتين»[٦].

وبهذا التفسير الدقيق والعميق لهاتين الآيتين والبيان الرصين الناصع لمقصد الاختلاف بين الناس - أي:

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) المصدر سابق، ج: ١٢، ص: ١٨٩.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) المصدر السابق، ج: ١٢، ص: ١٨٩-١٩٠.

العدول عن الحق إلى الباطل خلافًا لمن يثبت على الحق - وأنه أمر محتوم وِفْقًا للجِبلة التي خُلق عليها الإنسان، من حيث إنها قابلة لاتباع الحق أو العدول عنه - وذلك أساس التكليف - والربط اللطيف بين هذا المقصد وبين عِلة «تفاوت الناس في مدارج الارتقاء»، تتضح العلاقة بين هذا المقصد القدري وبين جوهر التربية الأصيل، باعتبار أن من يدرك مفهوم هذا المقصد والحكمة منه حق الإدراك، ويعمل بما يقتضيه من الحذر من الاختلاف المذموم الناجم عن عدم اتباع الحق، ويسعى لأن يثبت على الحق ولا يحيد عنه، ويربأ بنفسه أن يكون مع الرعاع الذين يتبعون كل ناعق، ويتبعون السُبُل التي تحيد عن الحق، ويدعو غيره إلى اتباع الحق، لِيستحق بعمله هذا وسعيه أن يشمله الله في زُمرة من استثناهم بقوله ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ الذين لا يختلفون في الحق مهما خالفهم فيه الناس؛ لأنهم يَعُون الحكمة من خلق الناس مختلفين...

إن من يدرك هذا كله ويعمل بمقتضاه يرتقي بذلك في مدارج الكمال، ويكون ارتقاؤه بقدر إدراكه لمفهوم هذا المقصد والحكمة منه وبقدر عمله بمقتضاه، ذلك أن من دلالات الكمال معرفة الحق واتباعه والدعوة إليه والثبات عليه مهما خالف المخالفون، وهذا الارتقاء هو جوهر التربية الأصيل.

هذا بالإضافة إلى أن من يدرك سر الاختلاف بين الناس - في ضوء وعيه العميق بهذا المقصد القرآني- حق الإدراك؛ فإنه يتصف - مع ثباته على الحق والدعوة إليه -بالسماحة مع المخالف في الدين، وهي من أعز صفات الكمال. ذلك أنه يدرك أن الخالق الذي يدعو إلى الثبات على الحق والدعوة إليه هو الذي ينهى عن الإكراه في الدين، كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، بل يدعو إلى البِّر مع المخالفين في الدين - غير المعتدين - والقسط إليهم، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ويجدر التنويه هُنا إلى أنه لا يعني هذا أن كل اختلاف بين الناس هو اختلاف مذموم، مثل الاختلاف في الآراء والأفكار القائم على الاجتهاد المعتبر المستند إلى أدلة وبراهين محتملة، بل إن هذا الاجتهاد - وإن أدى إلى اختلاف المجتهدين – عمل مأجور مبرور، وهو الذي أشار إليه الحديث المتفق عليه عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر». وهناك أنواع وأصناف أخرى من الاختلاف بين الناس ليست مذمومة، مثل: اختلاف التنوع التكاملي بين الناس، والذي أشار إليه القرآن وعدّه من آيات الله وفي سياقات تفيد الامتنان، كالاختلاف بين الذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...﴾ [النساء:١]، وكالاختلاف بين الشعوب والقبائل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..﴾ [الحجرات:١٣]. وهذا يتطلب تقدير اختلاف التنوع التكاملي والسعي لاستثماره استثمارًا يحقق الارتقاء في معارج الكمال، وهذا هو جوهر التربية الأصيل.

وباستثمار هذا النوع من الاختلاف يتمكن الإنسان من تحقيق المقاصد الأخرى تحقيقًا أكثر إثراء، مما لو قام بها بنفسه. ذلك أن طبيعة الكون المخلوق قائمة على التزاوج والتعاضد والتكامل الإثرائي، لا على الفردية والانعزال والتنافر السلبي. فباستثمار اختلاف التنوع التكاملي ينسجم الإنسان مع الكون من حوله، ويزداد ارتقاء في معارج الكمال الذاتي والجماعي، كما يزداد تحققًا بإنسانيته من حيث إن التزاوج والتعاضد والتكامل الإثرائي من خصائص الإنسانية. أما الخالق سبحانه – وهو المثل الأعلى للكمال– فهو المختص بالأحدية، فهي في حقه صفة كمال وهي من أخص خصائص الربوبية.

وبذلك تتضح العَلاقة بين مقصد الاختلاف بين الناس والمقاصد الأخرى، كما تتضح العَلاقة بين هذا المقصد وبين جوهر التربية الأصيل.

الخاتمة:

أفادنا الاستقراء بأن مقاصد خلق الإنسان التي تناولها القرآن بِصِيَغِ تعليلٍ ظاهرةٍ خمسة مقاصد: العبادة، والاستخلاف في الأرض، وعمارة الأرض، والابتلاء، والاختلاف بين الناس، وإن كان منها ما ورد بصيغة الحصر إلا أن الحصر إضافي. وبدراسة هذه المقاصد في ضوء سياقاتها المتنوعة في محكم التنزيل؛ تبيَّن لنا أنها مقاصد مختلفة وإن كانت متعلقة بعضها ببعض.

وبالتحليل اتضح لنا أن هناك علاقة بين كل مقصد منها وجوهر التربية الأصيل، أي: العروج نحو الكمال في ضوء المثل الأعلى للكمال ألا وهو الله سبحانه. فبقدر عمق وعي الإنسان المربوب بتلك المقاصد، وبقدر درجة تحقيقه إياها وتمثله لها، أو تحقيق مقتضياتها وما يترتب عليها – بقدر هذا وذاك – يحقق الإنسان إنسانيته، ويرتقي في معارج الكمال ارتقاء شاملًا ذاتيًا وجماعيًا ساميًا، وذلك الارتقاء هو عين جوهر التربية الأصيل.

إن هذه النتائج عمّقت لنا دلالة التربية بمفهومها الأصيل الذي حررناه في البحث الدلالي التأصيلي الذي أسسنا عليه هذا البحث، وكشفت لنا أبعاد العلاقات بين مقاصد الخلق الخمسة بعضها ببعض من ناحية أولى، وأبعاد العلاقات بينها وبين جوهر التربية الأصيل من ناحية ثانية، وأبعاد المقتضيات التربوية

لتلك المقاصد من ناحية ثالثة. وفي ضوء هذه النتائج؛ يتبين لنا أن من شأن التربية - بمفهومها الأصيل- أن ترتقي بالإنسان ارتقاءً شاملًا نحو الكمال اللامتناهي المتضمن لمقاصد الخلق، وإن من شأن هذا الارتقاء الشامل أنْ يُعيد «صياغة الإنسان من جميع الوجوه حتى كأنه خلق جديد»[1]، كما أن من شأن هذا الارتقاء أن يحقق التناغم والترابط والانسجام، والتفاعل الخلّاق بين العقيدة والحياة، وبين القدسي والبشري، وبين القيم الدينية والنواميس الكونية، وبين العقل والروح، وبين القلب والجسد، وبين الحسي والمعنوي، وبين الذات الفردية والذات الجماعية، وبين الأرض والسماء، وبين عالم الغيب وعالم الشهادة، وبين الحياة الدنيا والحياة الآخرة. ولا غرو في ذلك، إذ إن هذه الثنائيات جميعًا تعود في الأصل إلى مصدر واحد مبدع؛ وهو الله الأحد الذي له الكمال المطلق -سبحانه وتعالى -، وهو المثل الأعلى للعروج نحو الكمال الذي هو جوهر التربية بمفهومها الأصيل.

ولعل سائلًا يسأل؛ ما مدى إمكانية تحقيق التربية بتلك الأبعاد وبذلك السمو على أرض الواقع؟ ونقول - ابتداءً - نحن على قناعة بأن التربية بتلك الأبعاد وبذلك السمو، قد تحققت في أمثل صورة خلال عصر النبوة المحمدية، الذي شهد عروج النبي -صلى الله عليه وسلم- في معارج الكمال حتى بلغ فيها مقامًا عليًا، وأصبح الأسوة الحسنة للكمال البشري بجميع أبعاده، بشهادة ربه في القرآن الكريم، كما شهد ذلك العصر عروج أصحابه بتربية النبي -صلى الله عليه وسلم- لهم حتى بلغوا مقامات سامية متفاوتة في تلك المعارج، فأصبحوا قدوات ساطعة لمن بعدهم. كما تحققت تلك التربية السامية -بصور متفاوتة- خلال العصور الزاهرة في تاريخ الحضارة الإسلامية، بل إن تلك الحضارة السامية ما هي إلا نتاج الممارسات والتجارب التربوية الأصيلة الفعالة في تلك العصور، إذ لا حضارة سامية بلا تربية سامية، كما هو معلوم بديهة.

ولكن للإجابة على السؤال الحيوي المطروح إجابة وافية، يجدر أن يخصص لهذا الموضوع الكبير دراسة بل دراسات مستقلة. ولذلك؛ نوصي الباحثين بالاهتمام بهذا الموضوع الحيوي والقيام على دراسة تلك التجارب التربوية دراسة جادة، ولا سيما وأنه حري بنا أن نقتبس من روح تلك الممارسات والتجارب التربوية الأصيلة والفعالة بذور الإصلاح التربوي الذي ننشده لأمتنا، بعد تخصيبها بوسائل التخصيب الفعالة المستمدة من ثراء الخبرات التربوية الإنسانية؛ ليكون الإصلاح أصيلًا ومتمثلًا لخصوصياتنا الثقافية، ومستثمرًا لخبراتنا وإمكاناتنا الذاتية، وفي نفس الوقت متفاعلًا مع مقتضيات الحياة المعاصرة، ومستفيدًا من الإنجازات التربوية الحديثة، ومتجاوزًا لإشكالاتها المعقدة وتحدياتها الصعبة. ولا سبيل لهذا التجاوز إلا

(١) طه عبد الرحمن، من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، (بيروت: المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ٢٠١٦م)، ص: ٤٨.

بـ «إبـداع مثـوِّر» - كـما يسـميه د. طـه عبـد الرحمـن - وهـو الـذي يقـوم صاحبـه بإيجـاد بدائـل بطـرق مبهـرة في التعامـل مـع المشـكلات المعقـدة والتحديـات الصعبـة، ليخـرج الإنسـانية ممـا هـي فيـه مـن مِحَـن وأزمـات، ويرتقـي بهـا إلى مزيـد مـن التقـدم، ولا يتأتـى ذلـك إلا أن يكـون هـذا الإنسـان «المبـدع المثـوِّر» توّاقًـا إلى العـروج نحـو الكـمال[1]، وذلـك هـو جوهـر التربيـة الأصيـل.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،،،

(١) من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، ص: ٤٧.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر والمراجع العربية:

القرآن الكريم

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).

_____، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (القاهرة: دار السلام، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

ابن عبد السلام، العز، شجرة المعارف والأحوال وصالح الأعمال والأقوال، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م).

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر، أحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ).

_____، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

الأصفهاني، الراغب، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣م).

_____، مفردات ألفاظ القرآن، (دمشق: دار القلم، ط٥، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م).

البوطي، محمد سعيد رمضان، الحكم العطائية: شرح وتحليل، (دمشق: دار الفكر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

_____، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، (بيروت ودمشق: دار الفكر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.).

عبد الرحمن، طه، دين الحياء: من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني - ج١: أصول النظر الائتماني، (بيروت:

المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ٢٠١٧م).

_____، من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، (بيروت: المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ٢٠١٦م).

الغزالي، محمد، فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، (دمشق: دار القلم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

قطب، سيد، في ظلال القرآن، (بيروت والقاهرة: دار الشروق، ١٩٧٨م).

المصلح، محمد أبوبكر، نحو إحياء مفهوم التربية الأصيل، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (المجلد ٣٦-العدد ٢) – ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، جامعة قطر.

النجار، عبد المجيد، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، (فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإنساني، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

_____، فقه التحضر الإسلامي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩م).

_____، مبدأ الإنسان، (تونس: دار الزيتونة للنشر، د.ت).

ثانيًا: المصادر والمراجع الأجنبية:

References

The Holy Quran

ʿAbd al-Raḥmān, Ṭaha, *Dīn al-Ḥayāʾ*, Vol-1, (in Arabic), (Beirut: al-Muʾssasa al-ʿArabīa lil-Fikr wa-al-Ibdāʿ, 2017AD).

_____, *Min al-Insān al-Abtar ilā al-Insān al-Kawthar*, (in Arabic), (Beirut: al-Muʾssasa al-ʿArabīa lil-Fikr wa-al-Ibdāʿ, 2016AD).

Al-ʾAṣfahānī, al-Rāghib, *Tafṣīl al-Nashʾatayn wa-Taḥsīl al-Sȧādatayn*, (in Arabic), (Beirut: Dār Maktabat al-Ḥayāh, 1983AD).

_____, *Mufradāt al-Fāẓ al-Qurʾān*, (in Arabic), (Damascus: Dār al-Qalam, 1433AH/2011AD).

Al-Buṭī, Muḥammad Saʿīd Ramaḍān, *al-Ḥikam al-ʿAṭāʾiyyah*: *Sharḥ wa-Taḥlīl*, (in Arabic), (Damascus: Dār al-Fikr, 1430AH/2009AD).

_____, *Manhaj al-Ḥaḍārah al-Insāniyyah fī al-Qurʾān*, (Beirut & Damascus: Dār al-Fikr, 1424AH/2003AD).

Al-Ghazālī, Muḥammad, *Fann al-Dhikr wa-al-Duʿāʾ ʿInd Khātim al-Anbiyāʾ*, (in Arabic), (Damascus: Dār al-Qalam, 1407AH/1987AD).

Al-Musleh, Mohamed Abu Bakr, Towards Reviving the Authentic Concept of "Tarbiya", (in Arabic),

Journal of College of Sahria & Islamic Studies (*JCSIS*), Vol 36, No 2, 2019AD.

Al-Najjār, ʿAbd al-Majīd, *Khilāfat al-Insān Bayn al-Waḥy wa-al-ʿAql*, (in Arabic), (Virginia: International Institute of Islamic Thought, 1413AH/1993AD).

_____, *Fiqh al-Taḥaṭur al-Islāmī*, (in Arabic), (Beirut: Dār al-Qharb al-Islāmī, 1999AD).

_____, *Mabdả al-Insān*, (in Arabic), (Tunisia: Dār al-Zaytunah li-al-Nashr, n.d.).

Al-Qurṭubī, Muḥammad b. Aḥmad, *al-Jāmiʿ li-Aḥkām al-Qurʾān*, (in Arabic), (Cairo: Dār al-Kutub al-Maṣriyyah, 1384AH/1964AD).

Al-Shāṭibī, Ibrāhim b. Musā b. Muḥammad al-Lakhmī al-Ghirnāṭī, *al-Muwāfaqāt*, (in Arabic), (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmīya, n.d).

Al-Tirmidhī, Muḥammad b. ʿIsā, *Sunan al-Tirmidhī*, (in Arabic), (Cairo: Sharikah Maktabah wa-Maṭbaʿah Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī, 1395AH/1975AD).

Al-Zamakhsharī, Maḥmūd b. ʿAmrw, *al-Kashāf ʿan Ḥaqāʾiq Ghawāmiṭ al-Tanzīl*, (in Arabic), (Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 1407AH).

Haracic, Nedim and Yusoff, M. Y. Zulkifli Mohd, The Reasons of Social Change and the Role of Mentoring Therein; Its Methods and Contexts from a Qur'anic Perspective, *Albayan Journal*, (vol.14, issue 1, 2016, pp.89-118).

Ibn ʿAbd al-Salām, Al-ʿIz, *Shajarat al-Maʿārif wa-al-Aḥwāl wa-Ṣāliḥ al-ʿAmāl wa-al-Aqwāl*, (in Arabic), (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmīya, 2003AD).

Ibn al-ʿArabī, Abū Bakr Muḥammad b. ʿAbdullāh, *Aḥkām al-Qurʾān*, (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, 1424AD2003/AD).

Ibn al-Qayyim al-Jawzīya, Muḥammad b. Abū Bakr b. Ayyūb al-Zurʿī, *Badāʿi al-Fawāʾid*, (in Arabic), (Macca: Dār ʿĀlam al-Fawāid, 1425AH).

_____, *ʿUddat al-Ṣābirīn wa-Dhakhīrat al-Shākirīn*, (in Arabic) (Damascus: Dār Ibn Kathīr, 1409AH/1989AD).

Ibn Kathīr, ʿImād al-Dīn Ismāʿīl b. ʿUmar, *Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm*, (Riyadh; Dār Ṭayba, 1420AH/2005AD).

Ibn Manẓūr, Muḥammad b. Makram, *Lisān al-ʿArab*, (in Arabic), (Beirut: Dār Ṣādir, 1414AH).

Quṭb, Sayyid, *Fī Ẓilāl al-Qurʾān*, (in Arabic), (Beirut & Cairo: Dār al-Shurūq, 1978AD).